

## وحب الله محاربه القرآن الكريم

### عبد المعبود

لا يشك مسلم يؤمن بربه عز وجل وبرسالة نبيه ﷺ في أن القرآن الذي نزلوه والذي هو بين أيدينا الآن كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ وأن الله قد أجور به سائر البشر.

وأرى أنه ليس هناك من دافع إلى التفصيل في بيان الإعجاز إلا من البين الذي لا يخفى على أحد أن النبي ﷺ قد تصدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن فمجزوا ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ) (١) كما تصداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فمجزوا كذلك ( قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ) (٢) فمجزوا كذلك.

وأخيراً تصداهم أن يأتوا بسورة من مثله فمجزوا أيضاً ( فأتوا بسورة من مثله ) (٣).

وقد حدثنا التاريخ أنهم مع شدة التحدي والمعارضة قد مجروا ولو استطاعوا لفعلوا ولو وصل إلينا هذا الخبر متواتراً وذلك لسكرة أهداه النبي ﷺ المتحادين له عن حرصوا على إبطال حججة القرآن وإشاعة ذلك بين الناس ويحدثنا علماء الكلام والفرق أن المسلمين قد اجتمعت كلمتهم على

(١) (٢٤١) الآيات على التوالي الإسراء آية رقم ٨٨ هود آية رقم ١٣

البقرة آية رقم ٢٣

أن القرآن معجز وأنه بنظمه الغريب مع عذوبة ألفاظه قد أعجز الله من مثله جميع العرب وغيرهم من الجن والإنس أن يأتوا بمثله وأنهم آثروا المضاربة على المقارنة وبذلوا في سبيل ذلك المنهج والآراوح في الحروب والازالة وأن جمهور المسلمين على أن الإعجاز باق إلى يوم القيامة وآيته باقية أبد الدهر، وأن المسلمين عدا فرقة قليلة على أنه معجز بنظمه وبمألفه من أخبار عن الغيب .

ويرى ابن حزم الأندلسي أن هذا القول هو الحق وما يخالفه فهو ضلال<sup>(١)</sup> .

وعليه فالمسلمون متفقون في الرأي على إعجاز القرآن لكن وقع الخلاف في وجه الإعجاز فما هي إذن هذه الآراء ؟؟

فالإجماع صاحب المواقف والفتاوى صاحب المقاصد يذكر أن جملة من هذه الآراء منها أن بعض العلماء يذهب إلى أن وجه الإعجاز فيه هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب وفقرهم في مطالعته ومقاطعته وفواصله وعلى هذا الرأي سار بعض المعتزلة إلا الثقات وهشام الفوطي وعبداد بن سليمان<sup>(٢)</sup> .

وذهب طائفة إلى أن وجه الإعجاز كونه في الدرجة العليا من البلاغة والدرجة القصوى من الفصاحة التي لم يهد مثلاً بلغاء العرب وفصاحتهم وعلى ذلك الجاحظ<sup>(٣)</sup> .

(١) الفصل لابن حزم ٣٢ ص ١٥ شرح المقاصد قسم السميات بتعليق

دكتور سليمان خير ص ٣٦

(٢) شرح المواقف للإجماع بتعليق دكتور يبصار ص ٩١ أيضا مقالات

الإسلاميين للأشعري ص ٢٢٥

(٣) شرح المواقف ص ٩١ شرح للمقاصد ص ٣٣

وقال القاضي الباقلاني وجه الإعجاز هو مجموع الأمرين : النظم الغريب وكونه في أعلى درجات البلاغة ، وقيل هو اخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلية ، فالمستقبلية مثل قوله تعالى ( غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون ) (١) ( سنلقى في غلوب للذين كفروا نارهم ) (٢) وهي كثيرة في القرآن .

والماضية كثيرة جداً فيها قصة نوح وموسى وعيسى وهود وصالح الخ . وقال قوم هو عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطول واحتجوا بقوله تعالى : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) (٣) . وبذكر الشهرستاني آراء أخرى فوق تلك الآراء فأبرز الحسن الأشعري لإمام أهل السنة والجماعة يرى أن القرآن معجز من حيث بلاغته وقلمه مع فصاحته غير أن من أصحابه من مخالفه فاعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي وهو المنع من المعتاد ومن جهة الإخبار عن المغيبات (٤) .

وهذا الرأي ( القول بالصرفة ) وهو المنسوب إلى بعض رجال المدرسة الأشعرية لعله هو رأي الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ، وبما يوضح ذلك أن صاحب المواقف ذكر هذا الرأي ونسبه صراحة إلى الأستاذ الإسفراييني فيقول : ( ذهب طائفة إلى أن إعجازه بالصرفة بمعنى أن الله صرفهم عن معارضته والأتیان بمقوله قبل التحدي مع قدرتهم على ذلك واختلف هؤلاء في وجه الصرفة فذهب الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني من الأشاعرة والنظام من المعتزلة إلى أن الله صرفهم بأن صرف دواعيهم إلى المعارضة مع ترفه

---

(١) (٢٤٢٠١) الآيات على التوالي سورة الروم آية رقم ٢ ، سورة آل عمران آية رقم ١٥١ ، سورة النساء آية ٨٢  
(٤) فلال والنخل للشهرستاني ١٣ ص ١٢٦

الأسباب الداعية إلى المعارضة خصوصاً بعد التحدى والتبسكيت بالعجز ،  
وقال الشريف المرتضى من الشيعة إن الله صرّفهم بأن سلبهم العلوم التي  
بحاجة إليها في المعارضة (١) .

وأضيف أن ابن حزم ممن ذهب إلى القول بالصرفة يرى في وجه الإعجاز  
أن الله منح من معارضته فقط وحال بين الناس وبين ذلك وكساء الإعجاز  
وسلبه جميع الخلق وأن قلبه وكثيره معجز لأن الله تحدى العرب أن يأتوا  
بمثل القرآن وكل شيء منه قرآن حتى الكلمة القائمة المعنى ، وقد عفى ابن  
حزم عناء خاصة بالتدليل على ما رآه كما عفى بإبطال مذهب المخالفين فلم يرجع  
إلى محله من أراد المزيد (٢) .

ثم إن الجويني إمام الحرمين يزيد على جمهور الأشاعرة فيذكر أن وجه  
الإعجاز هو اجتماع الجزالة مع الأسلوب والنظم المخالف لأساليب العرب  
وعنده كذلك أن النظم وحده لا يستقيم كما لا تستقل الجزالة وحدها بل  
لا بد من اجتماع الأسرين ويضيف إلى ذلك الإخبار عن المغنيات وقد  
دل على ما رأى بالحجج العقلية وآيات القرآن فلم يرجع إلى محلها من  
أراد (٣) .

من هذا البيان يتضح أن الأشعري ورجال مدرسته فيما عدا الاسفراييني  
يذهبون إلى أن القرآن من حيث البلاغة والنظم والفصاحة في درجة أسمنى  
مما يتناول إليه البشر وفي هذا رجع لأن القرآن الكريم ، لكن القائلين

(١) شرح المواهب ٩٢ شرح المقاصد ٣٣

(٢) الفصل لابن حزم ٣٠ ١٥ ، ١٦

(٣) الارشاد للجويني تحقيق محمد يوسف موسى ٣٤٩ ، ٣٥٢ طبع

بالصرفه فعلى معنى أن البشر كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثله وأبلغ لولا أن الله منعهم ذلك حيث صرف دواعيهم عن ذلك وقد أحجزهم تعالى عن أن يأتوا بمثله .

وإذا كان في الرأي الأول رفع الشك والقرآن إلى هذه الدرجة القصوى بحيث لا يصل إليه بشر ، فإن في الرأي الثاني عدم لأمل كل من تحدثه نفسه بذلك وهو أكثر قطعا من الاتيان بمثله وأبلغ في تقرير الإعجاز باللفظ والمعنى مما جعل ابن حزم الأندلسي يتأثر كثيرا بهذا الرأي (القرآن بالصرفه) ويحجب به ويدافع عنه بالحجة ويحاول جهده أن يبطل ما عدها في كتابه الشهير (المفصل) وإن كلام وجهه في هذا الصدد يدل على مدى حبه لهذا الرأي يهدر بنا أن ننقله في هذا المكان فيقول : (وقد ظن قوم أن صرح العرب ومن تملأهم من سائر الألفاظ من معارضة القرآن إنما هو لسكون القرآن في أهل البليغة وهذا خطأ شديد ولو كان ذلك — وقد أرى الله عز وجل أن يسكون — لما كان حيلته معجزة لأن هذه صفة كل سابق في طبيعته والشيء الذي هو كذلك ولأن كان قد سبق في وقت ما فلا يؤمن أن يأتي في غد ما يقاربه بل ما يفوقه ، ولكن الإعجاز في ذلك إنما هو أن الله عز وجل حال بين العباد وبين أن يأتوا بمثله ورفع عنهم القوة في ذلك جملة (١) انتهى كلامه .

ثم أنه ليس هناك من شك في أن القرآن من حيث مفردات كلامه مؤلف من كلام العرب التي كان معروفًا لديهم وهو بعيد عن غريب الألفاظ وحواشيها ، ثم إن أسلوبه وإن كان فيه قدر مرسل وأيضا يوجد به السجع بأنواعه فهو في جملة على غير ما عهد عند العرب أو عرب في أسلوبهم فطالعه وسياقه وطريقة خطابه لم يعهد مثلها في خطابه كالبده بيا أيها الناس

يأيا الذين آمنوا ، يا أيها المشرك ، كما لم يبعد كون مقاحله على مثل يعملون ، يعملون ، يفعلون (١) .

ولو أراد أحد البلغاء والنصحاء أن يؤلف كلاما بليغا من غير أن يحاول معارضة القرآن أو تقليده لاقى بكلام يقع في النفس موقع القبول والرضا .

أما إذا حاول معارضة القرآن فإنه لا يستطيع ذلك حيث أنه والحالة هذه سيضطر إلى تقليد القرآن والسير على طريقته والاستعارة منه والأخذ كذلك ، وحيداً سيكون كلامه مبهوجاً غريباً مقبولاً دون أن يستطيع تحسينه وربما أمكنه أن يأتي ببعض الكلمات والتعابير لكنها لا تعدو أن تكون من الخرافات والتميزات والافتراءات الكاذبة كما فعل ذلك مسيلمة الكذاب بعد ادعائه النبوة فقد أراد أن يحاكي القرآن الكريم فأتى بكلام كان في غاية السخافة والبهتان من مثل قوله عليه اللعنة .

[ الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب طويل وخرطوم طويل ] إلى غير ذلك من الخرافات والتفاهات التي تفوه بها (٢) .

من هنا أقول لعل مثل هذه الأسباب هي التي دعمت البعض إلى القول بالصرفه فإن القوم يقرأون القرآن ويفهمونه ولا يحدون عند سماعه غشاحه ، وبعد ذلك لو أرادوا أن يأتوا بمثل خرافاتهم فوام العقليه وبأوا بالفشل وخيبه الأمل لذا قال الوليد بن المغيرة وقد أعجب بالقرآن مع شدة حقه على رسول الله ﷺ ، عرضت هذه الكلام على خطب الخطباء وشعر

(١) ينظر شرح المقاصد بتعليق دكتور سليمان خميس ص ٣٨ .

(٢) الارشاد للجويني ص ٣٤٩ أيضاً شرح الموانف بتعليق دكتور

بيصار ص ٩٤ .

الشعراء فلم أجده منها ، وقد حكى لنا القرآن الكريم حكاية عن العرب قولهم : [ إيت به قرآن غير هذا أو بئله (١) ] .

والحق بعد كل هذا نقول إن القرآن الكريم بحر زاخر وخصم واسع قد فاض فيه كل عالم من كل فن فأغترف كل واحد منهم رشفة من بحر واسع على قدر طاقتة ووسع فهمه ، فألبغاه ظهرت لهم فصاحة القرآن وبلاغة أسلوبه وعذوبة المنطق من هنا ذهبوا إلى أن وجه الإعجاز هو البلاغة وبعضهم رأى صدقه وعجائبه التي لا تنتهي حيث أخبر عن المغيبات الماضية والمستقبلية وقد صدقها الواقع المشاهد .

ومن هنا قالوا إن وجه الإعجاز هو الإخبار عن المغيبات ، ومنهم من نظر إليه من حيث اشتغاله على دقائق الحكم ويدافع العلوم بما اشتمل عليه من أحكام تصلح أمر العباد في المعاش والمعاد في العاجل والآجل فذهب إلى القول بأن وجه الإعجاز ذلك وهكذا كل واحد تكلم عن القرآن من الوجهة التي تتفق مع مشربه وما وصل إليه بفكره وأظفاره ، لكن الحق يقال إن القرآن اشتمل على كل ذلك وأكثر من ذلك .

تنتهي الدنيا ولا تنتهي عجائبه التي تكشف كل يوم فيها هو العلم الحديث كل يوم يطالعنا بالجديد مما أكد عليه القرآن وتكلم فيه قبل العلم الحديث بأربعة عشر قرناً من الزمان فهو القول الحق ليس بالمعزول منزول من حكيم حميد .

على أن القائلين بالصرفه لهم حجج استدلو بها على مدعاهم فذكرها تنميلاً للقائمة ولنعلم مدى قوتها وهل سلمت من النقد أم لا ؟

(١) شرح المواقف للرجع السابق .

١ — قالوا إنما نقطع بأن فصحاء العرب كان عندهم المقدرة على التكلم بمفردات السورة ومركباتها القصيرة مثل الحمد لله ومثل رب العالمين، وعليه فهم يستطيعون أن يأتوا بمثل مسود القرآن لولا أن الله منعهم المقدرة وسلب منهم التواضع .

وقد طلق عليها صاحب المقاصد بما يفيد أنها ليست بالحجة القوية إذ أن حكم الجمل قد يخالف حكم الأجزاء ولو صح ما قيل في هذه الحجة لكان معنى ذلك أن أحاد العرب يستطيع أن يأتي بمثل قصائد فصاحتهم وهذا ما لم يقل به أحد .

٢ — واستدل القائلون بالصرقة كذلك بأن الصحابة رضوان الله عليهم عند جمع القرآن الكريم كانوا يتوقفون في بعض السور على شهادة أكابر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من القراء والمخلفين للقرآن الكريم ، بل إن ابن مسعود رضي الله عنه تردد في الفاتحة والمعوذتين ، فلو كان نظم القرآن معجزاً به صاحته لكان كافياً في الشهادة .

هذه هي حججهم غاية الأمر أن هذه الحجة قد ردت كسابقتها بأن هذه الروايات السابقة مشكوك في صحتها إذ المعروف أن جمع القرآن كان على عهد النبي ﷺ وعلى فرض تسليم صحة هذه الروايات فربما كان ذلك فهم على سبيل الاحتياط والاحتراس عن أدنى خلل يتطرق إلى كتاب الله عز وجل (١) .

على أن الفرق الأخرى التي خالفت القائلين بالصرقة لا يكتفون بالرد على الحجج كما رأينا سابقاً ، بل لأنهم يستدلون على بطلانها كذلك بمعدة وجوه فن أراد مزيد الاستقصاء فليبرجع إلى محله (٢) .

(١) شرح المقاصد بتعليق دكتور سليمان خورشيد ص ٢٦ .

(٢) ينظر شرح المقاصد ص ٢٧ .



وقد ذكرت سابقا أن ابن حزم الذي اعتنق القول بالصرقة قد  
دافع عنه ورد على المخالفين بكثير من الحجج وهي مذكورة بتامها في  
كتابه الفصل (١).

هكذا ترى كل فريق يدافع عن رأيه ويحاول ما يمكن أن يقويه  
ويدعمه وفي نهاية هذا المقال أقول كما ذكرت سابقا أن القرآن بحر واسع  
فيه من كل العلوم والفنون فكل واحد له أن يعترف منه ما هو غاية  
مقصوده ونهاية مطلوبه ويترك الباب مفتوحا للآخرين يأخذون ما يحلو لهم  
أو ما تمليه عليهم فريحتهم بعد النظر والاعتبار في كلام الله والله أعلم .  
د / هيد المعبود مصطفى سالم  
مدرس في قسم العقيدة  
والفلسفة بالكلية

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ١٦ وما بعدها .

